

## ليلة القدر :

يا ليلة القدر يا منية العمر  
شهر الهدى رمضان والصوم والإحسان  
طوبى لمحبيها يدعو يصليها  
حيّرت أفكارى في سرك الساري  
الروح والأملك في قبة الأفلاك  
الراكع الساجد والذاكر العابد  
كلُّ تمنّاك يحظى بلقياك  
خيرٌ من العمر ألفٌ من الشهر  
تذكار قرآن يسمو بإنسان  
قم أيها النائم و اطلب من الدائم  
يا خالق الأكوان أدرك ذوي الإيمان  
و ارفع لواء الإسلام تُنشر له أعلام

يا درّة الشهر يا ليلة القدر  
فيه أتى الفرقان في ليلة القدر  
كل المنى فيها في ليلة القدر  
يا منحة الباري يا ليلة القدر  
كانت مع النسّاك في ليلة القدر  
والقائم القاعد في ليلة القدر  
والله أعلاك يا ليلة القدر  
سلم إلى الفجر يا ليلة القدر  
يزداد إيماني في ليلة القدر  
ما أسعد القائم في ليلة القدر  
بالعفو والغفران في ليلة القدر  
كي تُسعد الإنسان في ليلة القدر

في هذا الشهر المبارك ليلة القدر: ( و ما أدراك ما ليلة القدر \* ليلة القدر خيرٌ من ألف شهر \* تنزل الملائكة و الروح فيها بإذن ربهم من كل أمر \* سلام هي حتى مطلع الفجر ) سورة القدر.

فليلة القدر ليلة عظيمة طيبة مباركة ، بل هي جائزة سنوية ، اختص الله بها نبيه محمداً صلى الله عليه و سلم ، و أمته من بعده ، يتفضل بها الكريم الباري على أحبائه من عباده ، و قد سُميت بهذا الاسم لعظم مكانتها، و سمو منزلتها، و شرف قدرها، و قد امتن الله سبحانه و تعالى على عباده بهذه الليلة العظيمة ...

فيا أيتها الليلة المباركة امنحي أيامنا وأوقاتنا جميعاً فضل الله العظيم الكريم المنان، يقول الشاعر السيد الصديق حافظ :

يا ليلة القدر امنحي أيامنا فضل الكريم المنعم الفتح

أجل إنها خير من ألف شهر ، تنزلت فيها ملائكة السماء بالهدى و الفرقان ، و الخير و البركات ، و إجابة الدعوات ... ، يقول صلاح عفيفي(٨٩) :

في ليلة القدر الهداية أنزلت فيها ملائكة السماء تنزلت

يا ليلة عن ألف شهر فضلت يحلو دعاؤك و القلوب تبثت

فليلةُ القدرِ أجلُّ ليلةٍ في حياة المسلم ... ، كما يراها الشاعر الأستاذ عمر بهاء الدين الأميري ، و لا ينالُ خيرها و فضلها و بركاتها و فيوضها إلا من أخلص في طاعة مولاه ، و عندها يفيض النور على قلبه ، و إن لم يرَ الآخرون سُطوعَها و بُروقَها و بريقَها ، لكن الموقِّق من تمنحه السَّعدَ و السعادة و تُورده موارد الخير و الهناء ، و تسمو به و ترقى بروحه لتهبه السنَّا و المُنى و الخيرَ و البركة و الجدوى :

أَبْرَقُ ؟ و كيف و ما أرعدا      أم النور في البون حُرّاً بدأ  
و من أيِّ أفقٍ ؟ ثرى أم ذُراً      و من أيِّ نبعٍ أفاض الندى  
و في ليلة القدر غفوٌ و صحوٌ      متى كم و كم أزالا سرمدا  
تزفُّ بيَّ المجدَ و السعدَ في      تجلِّ و تورْدُنِي الموردا  
و قال ليَّ القلب : إني هنا      لدى السنَّا و المُنى و الجدا  
إذا كدتُ أزلقُ عن أوجهٍ      تبدَّت و مدَّت لجذبي يدا

و لعِظَم هذه الليلة المباركة فقد هتأ الشاعر أبو بكر الصنوبري(٩٠) ممدوحه بحلول هذا الشهر المبارك داعياً الله له بنيل مراده ، و بالظفر بكل ما يتمناه ، و أن يقِيَهُ الله كل سوء و مكروه ... ، ثم ذكر الشاعر نقرُدَ ممدوحه و تمَيُّزَه عن أقرانه و فضله على الناس كفضل ليلة القدر على سائر الليالي :

نَلُتَ في ذا الزمان ما ترتجيه      و وقاك الله كلَّ ما تتقيه  
أنتَ في الناس مثل شهرك في الأش      هُر أو مثل ليلة القدر فيه

وما ذلك إلا لأن في هذه الليلة المباركة من عظيم المنح الإلهية ولشأنها الأثر الكبير، كما قال الشاعر فريد قرني(٩١)، مخاطباً رمضان :

وفيكَ بليلة القدر العطايا      وإنَّ لشأنها الأثرَ الخطيرا

وهذه الليلة المباركة الطيبة لمن حظي بقيامها ، لم تغب عن بال الشعراء ، فهذا شاعر قديم يشبه محبوبته بجملة تشبيهات رائعة ، حتى يختمها بأنها تشبه ليلة القدر ، و أنها تفوق أترابها حسناً و جمالاً ، و بهاءً و فضلاً ، كما فُضِّلَت على ألف شهر ليلة القدر، كما قال الشاعر:

فلو كنتِ ماءً كنتِ ماءً غمامةً      و لو كنتِ ذُرّاً كنتِ من ذُرَّةِ بكر  
و لو كنتِ مسكاً كنتِ من مسكٍ طيبةً      و لو كنتِ طيباً كنتِ من عنبر البحر  
و لو كنتِ لهواً كنتِ تعليل ساعة      و لو كنتِ نوماً كنتِ إغفاءة الفجر  
و لو كنتِ ليلاً كنتِ قمرأ جُنَيْبَت      محاق ليالي الشهر أو ليلة القدر

و قد انسحب بعض الشعراء على هذا النحو الذي أغراهم 'فقال بعضهم:

فلو كنت عيشاً كنت نعمة جنة  
و لو كنت يوماً كنت يوم تواصل  
و لو كنت يوماً كنت يوماً كنت لي ليلة القدر  
و لا يعزب عن بالنا قول المجنون أيضاً :  
أما و الذي لا يعلم الغيب غيره  
بقدرته تجري السفائن في البحر  
لقد فضلت ليلى على الناس مثلما  
على ألف شهر فضلت ليلة القدر

ولقد فضلت هذه الليلة المباركة على سائر الليالي والشهور، فعبقت فيها أنسام  
رضوان الله ، وتجلياته على عباده المؤمنين بالعفو والإكرام كما قال الشاعر  
عبدالرحمن صالح العشماوي(٩٢)

في ليلة القدر أنفاس الرضا عبق  
قد خاب من لم ينل عفواً وغفراناً  
على أن كثيراً من الشعراء قد نوهوا بهذه الليلة المباركة 'فأبانوا فضلها، و امتدحوا  
أجرها و برها 'و حسناتها و بركاتها و فضائلها 'و أعلوا من شأنها، و استنهضوا  
عزائم المؤمنين لإحيائها بالذكر و الصلاة 'و سائر القربات و الطاعات 'داعين أمّتهم  
إلى الالتفات إلى ماضيهم المجيد 'يقول الشاعر العراقي عبد القادر رشيد الناصري  
رحمه الله :

يا ليلة القدر المنيفة أشريقي  
فجراً بأفاق الهدى وفراقدا  
فصّي على الأسماع من أنبائها  
ما يرجع التاريخ منها حاسدا  
جبريل بالآيات يهفو خاشعاً  
نحو الأمين مراوحاً و معاودا

و كذلك يعلن الشاعر المعاصر أحمد مخيمر 'إشراقات هذه الليلة المباركة ' فيقول :

ليلة القدر عندنا فرحة العُمر  
تدانت على سناها السماء  
في انتظار لنورها كل ليل  
يتمنى الهدى و يدعو الرجاء  
فإذا الكون فرحة تغمر الخلق  
إليها تبتل الأتقياء  
وإذا الأرض في سلام و أمن  
وإذا الفجر نشوة و صفاء  
و كأنني أرى الملائكة الأبرار  
فيها و حولها الأنبياء ..

و يذكر شاعر آخر في هذه الليلة المباركة - رحمة الله المهداة - محمداً صلى الله عليه و سلم - إلى الخلق أجمعين ' هذا الحبيب الأعظم ' الذي هدى الله به العالم ' و أخرج به الناس من الظلمات إلى النور ' بفضل الله و هدايته و توفيقه ' هذا الحبيب الذي جرى حبه في شرايين المؤمنين ' إنه رسول الله ' حبيب رب العالمين ' و سيد الخلق طراً أجمعين ' الذي أتى عليه ربُّه و مدح خُلُقَه ' فقال سبحانه : " و إنك لعلی خلق عظیم " ' فيدعو الشاعر ربّه أن يهبه في هذه الليلة المباركة شفاعته عبده و مصطفىاه سيّدنا محمدٍ صلى الله عليه و سلم :

في هذه الليلة الغراء يشجيني	ذِكْرُ الحبيب الذي قد جاء بالدين
عَنْيْتُ أَحْمَدَ خَيْرِ الخلق قاطبةً	فحبُّه في فؤادي في شراييني
محمداً سيّد الأكوان قاطبةً	مَنْ مدَّحُه في كتاب الله في ( نون )
هو الشفيع الذي تُرجى شفاعته	يوم الحساب و يوم الحشر و الدين
صلى عليه إلهي ما همى مطر	ما أزهـر الورد في روض البساتين

و يعني الشاعر في قوله في كتاب الله ( في نون ) : ان الله سبحانه مدح نبيّه محمداً صلى الله عليه و سلم ' في سورة ( القلم ) ' و هو قوله تعالى : " ن و القلم و ما يسطرون \* ما أنت بنعمة ربك بمجنون \* وإن لك لأجراً غير ممنون \* و إنك لعلی خلق عظیم " سورة القلم: ١-٤ .

فهذه ليلة مباركة طيبة شريفة ' مخصوصة بفضائل لا تُحصى ' فأنبتهل إلى الله بالدعاء و القيام ' يقول الشاعر محمد عبد الغني حسن :

و هذه ليلة في العمر واحدة	لها إلى الفجر تكبير و تهليل
يا ليلة القدر كم بُوركِت من شرف	و فيك بُورك تسبيح و ترتيل
تَنَزَّلَتْ فيك أي الوحي مشرقة	و فصّلت فيك ألواح و تنزيل
يا ليلة خصّها بالفضل خالقها	لها على الدهر تكريم و تفضيل
كأنها من جبين الدهر غرّته	أو أنها فوق هام الدهر إكليل
يا ربِّ حَقِّق رجاء المسلمين بها	و اجعل دعائي فيها و هو مقبول

...

و ليلة القدر عروس الليالي ، في شهرٍ يزدهي فخراً بها ، ولم لا و قد نزل الوحي العظيم، و القرآن الكريم في هذه الليلة المباركة ، التي تعدُّ ألف شهر ، بل هي خيرٌ من ألف شهر ، فيا فوز من حظي بقيامها ، و ظفر ببركتها و فاز بفضلها ، فطوبى له فضل الله و عفوه و غفرانه ، كما يقول خير الدين وانلي :

شهرٌ يتيه على الشهور بليلةٍ	فيها نزول الوحي بالأحكام
تلك التي عدت بألف شهوره	و بها السلام يفوق كل كلام
الروح ينزل و الملائك حوله	مستبشرين بليلة و سلام
طوبى لقائمها و حائز فضلها	و الله ذو فضلٍ و ذو إنعام

و ينتظر المؤمنون شهر رمضان المبارك بشغفٍ ، ليحظوا بشرف هذه الليلة الكريمة الغراء ، التي تسفر عن العفو و الغفران ، و بها تنزل الرحمات و البركات ، و السكينة ، يقول الوانلي :

أُحْلِيَتْ بالأنوار والإيمان	يا خير شهر خُصَّ بالقرآن
وحظيت من بين الشهور بليلةٍ	غراء فاضت بالهدى الريان
هي ليلة القدر التي قد أشرقت	أرجاؤها بالعفو والغفران
هبط السلام بها على قوامها	فاستبشروا بسكينة الرحمن

و يا حُسنَ هذه الليلة الكريمة ، جليلة القدر ، و قد حثَّ النبيُّ صلى اله عليه و سلم على اغتنام بركتها بقيامها. و أراد صلى الله عليه وسلم أن يُعرِّف أمته أي ليلة هي ، لكن تشاجر رجلا من المسلمين فرُفعت ، كما في البخاري ، عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : خرج النبي صلى الله عليه وسلم ، ليخبرنا بليلة القدر ، فتلاحى رجلا من المسلمين ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم .. " خرجتُ لأخبركم بليلة القدر ، فتلاحى رجلا من المسلمين فرُفعت ، و عسى أن يكون خيرٌ لكم ... " إلخ . و أمر صلى الله عليه وسلم بتحريها في العشر الأخير من رمضان ، و في ليالي الوتر منها بخاصة ، و قد عبّر الشاعر الأندلسي ابن الجنان أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري المرسي الأندلسي ( ) عن معنى هذا الحديث الشريف ، فقال :

فيها حُسنها من ليلةٍ جلَّ قدرها	فحضَّ عليها الهاشميُّ وحرَّضا
وقد كان أصفى وردَه كي يُبيضه	ولكن تلاحى من تلاحى فقيضا
وقال اطلبوها تسعدوا بطلابها	فحرَّك أرباب القلوب وأنهدا
لعلَّ بقايا الحسن وهي كريمةٌ	تبيِّن سراً للأواخر أغمضا

فليلة القدر باسقة يانعة يتفياً المؤمنون ظلالها من حرّ الذنوب وجاحمها، ولا  
عزّو فهي ليلة الروح والريحان، وتسبيح الملائكة الكرام، قال بدر شاكر  
السيّاب :

يا ليلةً تفضّل الأيامَ والحقبا	هيّجتِ للقلبِ ذكرى فاعْتدى لَهَا
يا ليلة القدر يا ظلاً نلُوذ به	إنّ مَسْنَا جاحمُ الظلماءِ مُلتها
تنزّل الروحُ رفاقاً باجنحة	بيضٍ على الكونِ أرخاهنِ أو سحبا
وللملائك تسبيحٌ وزغرودة	تكاد رنّاتها ان تُذهل الشهباً